

البر

عناصر الموضوع

٣٤	مفهوم البر
٣٥	البر في الاستعمال القرآني
٣٦	الألفاظ ذات الصلة
٣٩	صلة البر بالإيمان والتقوى
٤٢	مجالات البر
٦٠	البر والصلوات الاجتماعية
٦٥	آثار البر في الدنيا والآخرة

مفهوم البر

أولاً: المعنى اللغوي:

الباء والراء في المضاعف أربعة أصول: الصدق، وحكاية صوت، وخلاف البحر، ونبت. أما الصدق، فكالقول: فلانٌ بارٌّ في يمينه، أي صادقٌ فيها، وأما حكاية الصوت، فالبر الصوت بالغنم إذا سيق، والبريرة صوت المعز، وأما خلاف البحر، فيقال: أبر الرجل، أي صار على البر، وأبحر الرجل، أي صار في البحر، وخرج إلى البرية أي ذهب إلى الصحراء، وأما النبت، فالبر هو الحنطة^(١).

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

ذكر العلماء عدة معانٍ للبر، منها: التقوى والجنة والخير والإسلام والإيمان^(٢)، وقد عرفه أبو حيان الأندلسي بأنه: «الإتيان بما كلفه الإنسان من تكاليف الشرع، اعتقاداً وفعلاً وقولاً»^(٣)، وعرفه الشوكاني بأنه: «اسمٌ جامعٌ للخير»^(٤)، وعرفه أحمد المراغي بأنه: «الإيمان وما يتبعه من الأعمال باعتبار اتصاف البار بها وقيامه بعملها»^(٥).

وبالنظر في التعريفات السابقة يمكن القول بأنه يمكن دمجها في تعريف واحد هو: البر اسم جامع لكل ما يرضي ربنا جل وعلا.

مما سبق يظهر ترابط وثيق بين المعنى اللغوي لكلمة البر الذي بمعنى الصدق والطاعة، وبين المعنى الاصطلاحي لها، ولكن المعنى اللغوي أعم من الاصطلاحي، فالمعنى اللغوي يشمل الصدق مع أي كان وطاعته، أما المعنى الاصطلاحي فيقتصر على الصدق مع الله تعالى، وطاعته جل وعلا، وهذا يتفق مع مفهوم العبادة.

(١) انظر: جمهرة اللغة، أبو بكر الأزدی ٦٧/١، مقاييس اللغة، ابن فارس ١/١٨١، ١٧٩، المحكم، ابن سيده ١٠/٢٤٣، ٢٤٠، مشارق الأنوار، السبتي ٨٤/١.

(٢) انظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي ٢/٤٢٥، مفاتيح الغيب، الرازي ٨/٢٨٩، لباب التأويل، الخازن ١/٢٦٨.

(٣) البحر المحيط ٢/١٧٠.

(٤) فتح القدير ١/١٩٩.

(٥) تفسير المراغي ٢/٥٤.

البر في الاستعمال القرآني

وردت مادة (بر) في القرآن الكريم (٢٠) مرة^(١).
والصيغ التي وردت هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل المضارع	٢	﴿وَلَا تَجْعَلُوا عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا﴾ [البقرة: ٢٢٤]
صفة مشبهة	٩	﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨]
اسم فاعل	١	﴿كَرِيمٌ ذِرَّةً﴾ [عبس: ١٦]
اسم	٨	﴿وَتَتَجَرَّأُ بِالْبِرِّ وَالْتَّقْوَى﴾ [المجادلة: ٩]

وورد البر في القرآن على ثلاثة أوجه^(٢):

- الأول: الصلة: ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا﴾ [البقرة: ٢٢٤]. لثلاث وصلوا القرابة.
- الثاني: الطاعة: ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْرِ وَالْعَدْوٰنِ﴾ [المائدة: ٢]. أراد بالبر الطاعة وترك المعصية.
- الثالث: التقوى: ومنه قوله تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]. يعني لن تنالوا التقوى.

(١) انظر: المعجم المفهرس، محمد فؤاد عبد الباقي ص ١١٧.

(٢) انظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني ص ١٣٠، ١٢٩.

الألفاظ ذات الصلة

١ التقوى:

التقوى لغةً:

من وقى. الواو والقاف والياء كلمة واحدة تدل على دفع شيء بشيء آخر. (١)

التقوى اصطلاحاً:

أصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقايةً تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه (٢).

الصلة بين البر والتقوى:

من خلال تعريف كل من البر والتقوى يمكن القول بأن البر فعل ما يرضي الله تعالى، واجتناب معصيته، بينما التقوى هي الاحتراز والوقاية من عذاب الله تعالى بأعمال البر.

٢ الخير:

الخير لغةً:

الخير ضد الشر (٣).

الخير اصطلاحاً:

الخير ما يرغب فيه الكل كالعقل والعدل والفضل والشيء النافع (٤).

الصلة بين البر والخير:

يفهم من تعريفي البر والخير السابقين أن بينهما فرقاً وهو أن البر هو اسم جامع لكل ما يرضي ربنا عن قصد، أما الخير فقد لا يكون عن قصد إرضاء الله تعالى فقد يقع الخير من كافر كأن يتبرع لبناء مستشفى، أو لعلاج مريض، أو لتعليم طالب فقير أو غير ذلك. (٥)

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٦/ ١٣١.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب ص ١٣٨.

(٣) انظر: تاج العروس، الزبيدي ١١ / ٢٣٨.

(٤) روح البيان، إسماعيل حقي ٧ / ٣٤٨.

(٥) انظر: الفروق اللغوية، العسكري ١ / ١٧٠.

٣ الإحسان:

الإحسان لغة:

مصدر حسن، والحسن: ضد القبح ونقيضه، والإحسان: ضد الإساءة^(١)

الإحسان اصطلاحًا:

هو: إتقان الأعمال والتطوع بالزائد عن الفرائض، ومقابلة الخير بأفضل منه، والشر بأقل منه^(٢).

الصلة بين البر والإحسان:

يظهر من خلال تعريفى البر والإحسان أن الإحسان أعلى درجة من البر فالبر هو اتيان العمل الصالح، بينما الإحسان هو اتقان العمل الصالح.

٤ الإثم:

الإثم لغة:

من أثم. الهمزة والثاء والميم أصل واحد، يدل على التأخر^(٣)

الإثم اصطلاحًا:

عرفه الجرجاني بأنه: «ما يجب التحرز منه شرعًا وطبعًا»^(٤)، وهو أيضًا التأخر عن فعل الطاعات^(٥)، وقد عرفه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس»^(٦)، وهذا يعني أن ارتكاب الآثام أمر يشعر صاحبه بالضيق.

الصلة بين البر والإثم:

البر من القربات التي حث عليها ربنا جل وعلا، أما الإثم فهو مما نفر منه الشارع الحكيم، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور ١١٧/١٣.

(٢) التفسير المنير ٢١٢ / ١٤.

(٣) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٦٠ / ١.

(٤) التعريفات ص ٩.

(٥) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة ٢٦٤٨ / ٥.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم ٤ / ١٩٨٠، رقم ٢٥٥٣.

٥ العدوان:

العدوان لغة:

التعدي في الأمر، وتجاوز ما ينبغي له أن يقتصر عليه^(١).

العدوان اصطلاحاً:

التجاوز ومنافاة الالتزام، والإخلال بالعدالة في المعاملة^(٢).

الصلة بين البر والعدوان:

البر اجتهاد في طاعة الله تعالى، أما العدوان فهو تجاوز لحدود ما شرع الله تعالى لعباده،

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

٦ المعصية:

المعصية لغة:

من عصوى. العين والصاد والحرف المعتل أصلان صحيحان، إلا أن بينهما تبايناً

فأحدهما يدل على التجمع، والآخر يدل على الفرق، والمعصية هي المخالفة، والعاصي

هو المخالف، والمعصية ضدها الطاعة^(٣).

المعصية اصطلاحاً:

هي «مخالفة الأمر قصداً»^(٤).

الصلة بين البر والمعصية:

يلاحظ من خلال تعريف البر والمعصية أن هنالك اختلافاً بينهما فالبر هو الطاعة عن

قصد، والمعصية هي المخالفة عن قصد.

(١) العين الفراهيدي ٢/ ٢١٣.

(٢) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٥٥٣.

(٣) انظر: المصباح المنير، أحمد الفيومي ٢/ ٤١٤.

(٤) التعريفات، الجرجاني ص ٢٢٢.

ويلاحظ أن الآية الكريمة قد بينت أن الذي يجمع بين العناصر التي يكمن فيها البر هو العبد التقى، وفي ذلك دلالة واضحة على أن لزوم البر يؤدي إلى الحصول على مرتبة التقوى.^(٢)

وقال تعالى: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩].

يعلم الله تعالى عباده في هذه الآية أن الأهم في السؤال هو أن يكون سبيلاً للحصول على الجواب النافع لأمر الدين، فقد أوحى الله تعالى لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم إجابة للسؤال عن الأهلّة تبين علاقة الأهلّة بما ينفع الناس من أحكام الدين، وتحديدًا علاقة الأهلّة بتحديد المواقيت الزمانية لأشهر الحج، ثم يبين الله تعالى أنه ليس من البر أن يدخل المحرم بيته من ظهره، ولكن البر بلزوم تقوى الله تعالى في السر والعلن، ثم يأمر الله تعالى عباده بالدخول إلى البيوت من أبوابها حتى في حال الإحرام، ويلزوم التقوى في القول والعمل.^(٣)

وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ

(٢) انظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي ٤٤٩/١٠.

(٣) انظر: لباب التأويل، الخازن ١/١٢٠، ١٢١.

صلة البر بالإيمان والتقوى

إن المستبوع لنصوص القرآن الكريم التي ورد فيها لفظ «البر» يجد أن هنالك اقتراناً بين البر وبين الإيمان والتقوى.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

يبين الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن حقيقة البر تكمن في الإيمان بالله، والآخرة، والملائكة، والقرآن، والأنبياء، وكذلك في الإنفاق في سبيل الله تعالى على المحتاجين من الأقارب، والأيتام، والمساكين، والمنقطع عن ماله وأهله في سفر، والسائلين، والعبيد، ويكمن الإيمان كذلك في المداومة على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهد، وبالصبر على الشدائد، وعند مواجهة العدو، ثم يعقب تعالى بالتأكيد على أن الملتزمين بما سبق من مكامن البر هم الأتقياء الصادقون.^(١)

(١) انظر: النكت والعيون، الماوردي ٢٢٤، ٢٢٨/١.

وَالْتَقَوَى ﴿[المائدة: ٢]﴾.

يأمر الله تعالى عباده في هذه الآية الكريمة بالتعاون على أداء الطاعات التي يتقى بها من العذاب الأليم^(١).

ويلاحظ أن الآية الكريمة قد قرنت بين البر والتقوى؛ وذلك لبيان أن أعمال الخير لا بد وأن يراعى فيها تقوى الله عز وجل^(٢)، فقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَنَّاْ إِنَّكَ مَا مَعْمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبْءًا مِّنْهُنَاْ﴾

[الفرقان: ٢٣].

أن الله تعالى يجعل ما عمله الكفار في الدنيا من أعمال البر باطلاً لا ثواب له^(٣).

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَلْهَوْاْ بِالْأَنبِيَءِ وَالْعَدُوِّ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْاْ بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المجادلة: ٩].

ينهى الله تعالى عباده المؤمنين في هذه الآية الكريمة عن التناجي بالقبيح من الأقوال مما لا يتفق مع ما دعا إليه الإسلام، ثم يبين لهم جل وعلا أنه في حال لزمت النجوى فلتكن بما فيه الخير^(٤).

ويلاحظ من الآية السابقة اقتران البر

بالتقوى، ولعل السبب في ذلك هو أنه لا بد عند التناجي من مراعات أمرين، الأول: التناجي بما فيه المصلحة للمؤمنين، الثاني: الحذر من التناجي بالمعصية^(٥).

مما سبق يتضح أن اقتران البر بالتقوى يرجع إلى الأسباب الآتية:

١. بيان أن لزوم البر يرقى بالعبد حتى يصل إلى مرتبة التقوى.

وفي ذلك يقول تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ أَصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

فقدم الله تعالى في هذه الآية أمره لعباده المؤمنين بالصبر والمصابرة والمرابطة، على أمره لهم بالتقوى، وذلك لأن الأمور المتقدمة ترقى بالعبد المؤمن إلى مرتبة التقوى، وشرح ذلك أن أمر الله تعالى لعباده المؤمنين بالصبر يشمل الصبر على طاعة الله تعالى، والصبر عن معصيته، والصبر على المحن والشدائد، كما يتضمن أمر الله تعالى لعباده المؤمنين بالمصابرة الجلد مع الأعداء بحيث يفوق صبرهم صبر أعداءهم، وكذا يتضمن أمر الله تعالى لعباده المؤمنين بالمرابطة حماية حدود المسلمين من أذى المتربصين بهم من أعداء الإسلام والمسلمين^(٦)، ويعد جميع ما سبق من

(٥) انظر: البحر المديد، ابن عجيبة ٣٤١/٧.

(٦) انظر: التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي ٣٨٢/٢.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٢١٨.

(٢) انظر: تفسير الشعراوي ٢٩٠٨/٥.

(٣) انظر: لباب التأويل، الخازن ٣١١/٣.

(٤) انظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي ٥٣٩/١٨.

[يونس: ٦٢ - ٦٤].

٣. لبيان أنه لا بد للمؤمن أن يكون باراً فلا يقدم إلا على الطاعات، وأن يكون تقياً ورعاً، فيحذر من الوقوع في المعاصي.
فائدة:

تختلف لفظتا البر والتقوى في المعنى إذا اجتمعتا في الآية، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَتَقَوَّيْنَا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢].

فالبر هنا بمعنى اتيان الطاعات، والتقوى الاحتراز عن المنهيات^(٢)، وتتفق اللفظتان في المعنى إذا افترقتا في الآية، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فمعنى البر هنا هو التقوى كما هو واضح من الآية الكريمة^(٣).

أعمال البر التي من شأنها أن تقي صاحبها من عذاب الله تعالى وسخطه.

٢. لا بد من مراعاة تقوى الله تعالى عند القيام بالأعمال الصالحة، وذلك حتى يتتفع بها صاحبها يوم الدين.

وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ هُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠ - ٣١].

تبين هذه الآيات الكريمة أن جزاء الصالحين من عباده الأتقياء الأنقياء الذين يستشعرون مراقبة الله تعالى لهم في كل عمل يقومون به، ويجتهدون في التقرب إليه سبحانه بما يحب من الطاعات، ويحذرون من الوقوع فيما نهاهم عنه من المخالفات هو الدخول في جنان النعيم المقيم في الآخرة^(١).

وقال تعالى أيضاً في بيان حسن عاقبة المؤمنين الأتقياء: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلَىٰ آلَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

(٢) انظر: تفسير ابن عرفة ٢/ ٨٤.

(٣) انظر: الوجوه والنظائر، أبو هلال العسكري ص ١٣٢.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٤٣٩.

مجالات البر

أكرم الله تعالى عباده بدين البر والرشاد، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وكما يتضح من الآية الكريمة فإن الله تعالى قد ميز للناس طريق الهداية من طريق الضلال، وبعدها ترك لهم الخيار في سلوك أحد الطريقتين، وبين أن المحق من العباد هو من سيختار طريق الهدى والرشاد، وذلك لما تميز به هذا الطريق من الدعوة إلى لزوم البر في كافة المجالات والتي منها ما يأتي:

أولاً: البر في الإيمان:

قرن الله تعالى أركان الإيمان بالبر في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ وَعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ويتضح من الآية الكريمة أن الله تعالى قد بين أن ارضاءه والتقرب منه لا يكون

بمجرد القيام بأداء بعض هيئات العبادات، وإنما يكون بإخلاص النية وسلامة المعتقد، ويتمثل ذلك بما يأتي:

١. البر في الإيمان بالله تعالى.

الإيمان بالله تعالى هو الركن الأول من أركان الإيمان، وهو كذلك الركيزة التي استندت إليها دعوات الرسل عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مِنَ الْآبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

والمنادي الذي نادى للإيمان هو محمد صلى الله عليه وسلم^(١)، ويفهم من دعاء المؤمنين الوارد في فاصلة هذه الآية الكريمة أن الذي يموت على الإيمان بالله تعالى فهو من الأبرار المقبولين عند الله تعالى، وقال تعالى أيضاً على لسان يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُزْقَانِيهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْدَحُّ السَّجَنُ أَبْرَابًا مُتَعَرِّقُونَ حَيْرًا أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٧ - ٣٩].

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، ١/ ٣٢١.

يَخْشَى إِلَّا اللَّهَ فَمَسَوْا أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ
الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ [التوبة: ١٨].

ويأتي هذا الاقتران نظراً لأن المكافأة
على تلك الأعمال إنما يكون في الآخرة، قال
تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٢].
كما أن الإيمان باليوم الآخر هو أحد أبرز
الدوافع للقيام بأعمال البر.
٣. البر في الإيمان بالملائكة.

الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من
أركان الإيمان، وقد جعل الله تعالى الاعتقاد
به من أصناف البر التي لا يصح إيمان عبد
دونه، وهو من المعتقدات التي خالف فيها
أهل الضلال النهج السليم الذي بينه ربنا جل
وعلا في كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا
الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنَّتُمْ شَاهِدُوا
خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾
[الزخرف: ١٩].

وتظهر هذه الآية الكريمة أن المشركون
وصفوا الملائكة بالأنوثة، وهذا أمر غير
جائز كما هو معلوم؛ والعلة في عدم الجواز
أن الملائكة عالم غيبي بالنسبة للبشر،
والحديث عن تفاصيل تخص هذا العالم
أمر يحتاج إلى دليل شرعي، وبما أنه لا
دليل شرعي يصف الملائكة بالذكر أو
الأنوثة، فإن ادعاء المشركين بأن الملائكة
إناثا هو محض افتراء على الله تعالى،
والأمر لم يقف عند هذا الوصف بل تعداه

ويفهم من هذه الآيات الكريمة أن
ملازمة البر في المعتقد تتطلب الإيمان بالله
تعالى وحده.

٢. البر في الإيمان باليوم الآخر.

الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس
من أركان الإيمان وقد تقدم على غيره من
الأركان في آية البقرة؛ لأنه من أبرز ما أنكره
الكفار والمنافقين من أركان الإيمان بعد
الإيمان بالله تعالى، وهذا ما هون عليهم
انكار باقي أركان الإيمان، وكما هو معلوم
فإن الكفار والمنافقين أنكروا على المؤمنين
تحويل القبلة، ورأوا أن ذلك أمر جلل،
ومن شأنه أن يشوه أمر المسلمين ويقدح
في دينهم، فكان الرد عليهم من الله تعالى:
بأن صلاح أمر المسلمين وبرهم بخالقهم
جل وعلا لا يكون بالتوجه بالصلاة إلى هذه
الناحية أو تلك بالدرجة الأولى، وإنما يكون
بالتجرد لله تعالى وسلامة المعتقد قبل
كل شيء، لا كما فعلتم أنتم يا من أفسدتم
معتقداتكم وأنكرتم ما هو أعظم من تحويل
القبلة^(١).

ومن الملاحظ أن القرآن الكريم قد
قرن العديد من أعمال البر بالإيمان باليوم
الآخر وذلك كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا
يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامِنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ

(١) انظر: محاسن التأويل، القاسمي ١/ ٤٨١.

إلى مناصبة أهل الشرك والضلال العداوة للملائكة، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ۝١٧ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٧-٩٨].

وقد جاء عن أنس رضي الله عنه أنه قال: (سمع عبد الله بن سلام، بقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في أرضٍ يخترق، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني سائلك عن ثلاثٍ لا يعلمهن إلا نبي: فما أول أشرار الساعة؟، وما أول طعام أهل الجنة؟، وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: (أخبرني بهن جبريل آنفاً) قال: جبريل؟ قال: (نعم)، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧].

(أما أول أشرار الساعة فنارٌ تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعت)، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله، يا رسول الله، إن اليهود قومٌ بهت، وإنهم إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني، فجاءت

اليهود، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أي رجل عبد الله فيكم). قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، قال: (أرايتم إن أسلم عبد الله بن سلام). فقالوا: أعاذة الله من ذلك، فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا، وانتقصوه، قال: فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله^(١).

والشاهد من الحديث الشريف أن اليهود كانوا يعادون جبريل عليه السلام من الملائكة، ومن المعلوم أن معاداة الملائكة إنما هي معاداة لله تعالى؛ وذلك لأن الملائكة لا تقوم بشيء حتى يأمرها ربها جل وعلا.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝١٩ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٢٠﴾ [النحل: ٤٩-٥٠].

وبالتالي فإن البر يقتضي الإيمان بالملائكة لا بإنكارها، أو وصفها بما لا دليل من القرآن أو السنة عليه، أو مناصبتها العداة خصوصاً وأن مناصبة الملائكة العداة أعمال الكافرين الباطلة.

٤. البر في الإيمان بالكتب .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب (من كان عدوًّا لجبريل)، ١٩/٦، رقم ٤٤٨٠.

لما دعا إلى ذلك ربنا جل وعلا في كتابه العزيز في قوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ إِذْهَبْهُمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

٥. البر في الإيمان بالرسول.

الإيمان بالرسول هو الركن الرابع من أركان الإيمان، ويعد الرسل هم الأساتذة الذين يعلمون البشرية الاستقامة على طريق الهدى والرشاد، وهم القدوة الحسنة التي يجب على العباد السير على خطاهم، ولو لم يكونوا كذلك لما أمر الله تعالى بطاعتهم وحسن اتباعهم في غير موضع من كتاب الله تعالى، منها قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدِ قُلْ لَا آسَأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وهذا يدل على وجوب الاقتداء بالأنبياء عليهم السلام فيما اتفقوا عليه من الأصول التشريعية والخلقية والتعبدية^(٢).

ومما يدل أيضًا على وجوب اتباع الأنبياء والاقتداء بهم قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(١) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ

الإيمان بالكتب السماوية هو الركن الثالث من أركان الإيمان، وتعتبر الكتب السماوية المصدر الأساس لمعرفة أعمال البر المطلوب من العباد لزومها سواء بالاعتقاد أو بالقول أو بالعمل، وذلك نظرًا لما تحويه من قواعد وتشريعات إلهية يعد الالتزام بها من أعمال الخير والبر التي تقرب العباد من ربهم جل وعلا، وقد جاء تصديق ذلك في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝١ فَيَسْأَلُ لِمَنْ شَرًّا بَأْسًا شَدِيدًا مِنَ لَدُنْهُ وَيُنْذِرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْملُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ١-٢].

ومعنى قيمًا: أي مستقيمًا بذاته فلا اعوجاج فيه، مقومًا لغيره ممن لزمه واقعا تطبيقيا^(١)، كما جاء في قوله تعالى أيضًا: ﴿قُلْ أَرْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرَيْنِ لِيَلْنِ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرَكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢].

وبالتالي فإن الإيمان بالقرآن من أعمال البر وهو النتيجة التي أدت إليها دعوة القرآن إلى الرشد كما يتضح من الآيتين الكريمتين، ويقال في باقي الكتب السماوية ما قيل في القرآن الكريم فالكل صادر عن الله تعالى، ولو لم يكن الإيمان بجميع الكتب من البر

(١) انظر: معجم وتفسير لغوي لألفاظ القرآن الكريم، حسن الجمل ٣/ ٤٢١.

(٢) انظر: تفسير السمرقندي ١/ ٤٦٦.

اللَّهُ حَدِيثًا ﴿ [النساء: ٤١-٤٢].

وكلمة رسول هنا اسم جنس^(١)، وبالتالي فالمقصود بها كل رسول يرسله الله تعالى إلى قوم من الأقسام.

ولو لم يكن الإيمان بالرسول واتباعهم من أعمال البر لما أثنى الله تعالى الرجل الداعية الذي دعا قومه للإيمان بالرسول واتباعهم بالجنة كما جاء في قوله تعالى:

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفِقُونَ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْزِمُكُمْ آخَرًا وَهُمْ مُثْقَلُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِيدِ الْرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يَقْدِرُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَِّّي إِذَا لَفِئْتُ ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنَّنِي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتُ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس: ٢٠-٢٧].

ولما وعد الله تعالى المؤمنين بالرسول بالمغفرة والرحمة^(٢)، كما في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[الحديد: ٢٨].

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي ٦٤٤/٣.

(٢) انظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي ٥٤١/٩.

٦. البر بملازمة التقوى.

من أكثر ما حثت عليه الشريعة الإسلامية تقوى الله تعالى في السر والعلن، ففي القرآن الكريم جاء قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وجاء في السنة المطهرة عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (تدرون ما أكثر ما يدخل النار؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: الأجوفان: الفرج والفم، وأكثر ما يدخل الجنة؟ تقوى الله وحسن الخلق)^(٣).

وتكمن أهمية التقوى في كونها الضابط الذي يلزم العباد بالقيام بأعمال البر التي تقرب صاحبها من نعيم الله تعالى وتبعده عن عذابه.

وبالتالي يكون المراد بالأمر الإلهي بالوقاية من عذاب النار الوارد في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

هو الإقبال على أعمال البر وحث الأهل

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب المفرد، باب حسن الخلق إذا فقهوا ص ١٠٨، رقم ٢٨٩.

قال عنه أبو عيسى الترمذي: حديث صحيح غريب.

يَعْتَدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ
وَالْفُرْأَةِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿البقرة: ١٧٧﴾.

وقد ذكرت الآية الكريمة أن البر يكون
في صنفين أساسيين من أصناف العبادات
هما الصلاة والزكاة، وتفصيل ذلك كما
يأتي:

١. البر في إقامة الصلاة.

الصلاة هي عمود الدين والركن الثاني
من أركان الإسلام الخمسة وذلك كما بين
المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فقد جاء
عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال:
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في
غزوة تبوك فقال لي: (إن شئت أنبأتك برأس
الأمر وعموده وذروة سنامه قال: قلت: أجل
يا رسول الله، قال: أما رأس الأمر فالإسلام،
وأما عموده فالصلاة، وأما ذروة سنامه
فالجihad) (٣).

وقد جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا
الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة،
وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان) (٤).

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب الجهاد
٨٦/٢، رقم ٢٤٠٨.

وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين
ولم يخبراه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان،

عليها، والحذر من أعمال الفجور وتحذير
الأهل منها (١).

كما أن قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠].

فيه الدعوة إلى ضرورة أن يتلازم كل من
التقوى وأعمال البر في كل عمل يقوم به
المؤمن، وكذا قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾
[التوبة: ١١٩].

وكذا قوله صلى الله عليه وسلم: (اتقوا
النار ولو بشق تمرّة، فإن لم تجد فبكلمة
طيبة) (٢)، فيه الدعوة إلى لزوم التقوى من
خلال أعمال البر المتمثلة بالصدقة وإن
كانت قليلة، وبالكلام الطيب.

ثانياً: البر في العبادة:

كما بين الله تعالى أن حقيقة البر تكمن
في سلامة المعتقد، بين أنها تكمن أيضاً في
حسن العبادة.

فقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ
فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ
وَعَاقَىٰ أَمَالٍ عَلَىٰ حُدُودِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ فِي الرِّقَابِ
وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَىٰ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٤٩١/٢٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب،
باب طيب الكلام ١١/٨، رقم ٦٠٢٨.

ولهذا كانت الصلاة من أعظم أعمال البر التي تقرب العبد من ربه جل وعلا، وقد اهتم القرآن الكريم بعبادة الصلاة اهتمامًا بالغًا فأوجب إقامتها على وقتها، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

وشرع الطهارة قبل أدائها، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْمَاءِ أَوْ لَمْ تَمْسَسُوا الْمَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٦].

وجعلها الواقي من اتیان الفواحش والمنكرات، فقال تعالى: ﴿وَاقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وما كان لهذا الاهتمام أن يكون إلا لأن الله تعالى عالم بما للصلاة من كبير أثر على من أقامها، كيف لا يكون ذلك وهي عبادة جامعة للعديد من أوجه البر التي دعا إليها الإسلام الحنيف كقراءة القرآن، والدعاء،

والذكر وغير ذلك.

٢. البر في إيتاء الزكاة .

كثيرًا ما يقرن الله تعالى بين الركن الثاني من أركان الإسلام الصلاة، وبين الركن الثالث الزكاة، وذلك في آيات من الذكر الحكيم، كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

كما قرن الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك بين الصلاة والزكاة، في عدة مواطن منها ما جاء عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: (بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم)^(١).

وفهم من الآية الكريمة أن العبد إذا أقام الصلاة، وآتى الزكاة، ولازم جماعة المؤمنين فإنه يكون بذلك ملك الأسس التي من شأنها أن تقوده إلى الالتزام بباقي متطلبات الدين، كما يفهم من الحديث الشريف أن أخذ النبي صلى الله عليه وسلم البيعة على ثلاثة أمور منها إقام الصلاة وإيتاء الزكاة دليل على عظم مكانة هاتين العبادتين عند الله تعالى، ومدى تأثيرهما على حياة العباد، فالصلاة تطهر الأبدان، والزكاة تطهر الأموال، ولعل هذا من أبرز ما أدى إلى اقتران الصلاة بالزكاة في

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب البيعة على إيتاء الزكاة ١٠٦/٢، رقم ١٤٠١.

باب قول النبي عليه الصلاة والسلام: « بني الإسلام على خمس » ١/ ١١، رقم ٨.

كثير من النصوص الشرعية.

ومن المعلوم أن الزكاة بتطهيرها للأموال تعين أيضًا على تطهير القلوب من البخل والكبر والحقد والحسد، ولهذا عظيم الأثر في توطين النفوس على طاعة الله تعالى وبره في آتيان كل ما أمر، واجتناب كل ما نهى، ولكي يتحقق البر في إيتاء الزكاة لا بد من الالتزام بشروطها، وانفاقها في مصارفها الثمانية التي حددها القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

وكذلك أن تحقق الغرض الذي شرعت من أجله وهو تحقيق التكافل والتعاضد، والحث على صدقة التطوع، وعلى غيرها من أعمال البر.

٣. البر في الصيام.

صوم رمضان هو الركن الرابع من أركان الإسلام، وقد شرعه الله تعالى لعباده المؤمنين ليكون بابًا من أوسع أبواب البر والطاعة، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

فقوله تعالى في فاصلة الآية الكريمة:

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فيه بيان الغاية المرجوة من تشريع صيام شهر رمضان وهي الوصول بالعباد إلى درجة التقوى^(١).

ومما يدل على أن الصيام من أعظم أبواب البر ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث منها ما جاء عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: (كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فأصبحت يومًا قريبًا منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال: لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت)^(٢).

ومنها ما جاء أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، ولخلف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)^(٣).

فهذان الحديثان وغيرهما من الأحاديث

(١) انظر: النكت والعيون، الماوردى ١/ ٢٣٧.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة ٤/ ٣٠٨، رقم ٢٦١٦

وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب ما يذكر في المسك ٧/ ١٦٤، رقم ٥٩٢٧.

مما يبرز قيمة الصوم في تقريب العباد من رضوان الله تعالى، وابعادهم عن سخطه، ولو لم يكن الأمر كذلك لما خصص الله تعالى أحد أبواب الجنة الثمانية للصائمين، وسماه باب الريان.

وفي ذلك يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: (من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة: يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة، دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد، دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة، دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام، دعي من باب الريان) (١).

ومما يعزز مكانة الصيام كأحد أبرز أعمال البر ارتباطه بأوجه أخرى عظيمة من أوجه البر، ومن هذه الأوجه العظيمة الاجتهاد في قراءة القرآن الكريم.

والسر في ارتباط الصيام بقراءة القرآن هو أن نزول القرآن الكريم كان في شهر رمضان المبارك، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ومن الأوجه أيضًا الصدقة، ومن المعلوم

أن زكاة الفطر واجبة في شهر رمضان، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم قد حث المسلمين على التبرع للمحتاجين من خلال جوده في التصديق خلال شهر رمضان على ذوي الفاقة والعوز، حتى أن ابن عباس رضي الله عنهما وصفه قائلًا: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة) (٢).

ومن أوجه البر المرتبطة بالصيام العمرة، وصلة الأرحام، وقيام الليل وغير ذلك من الأوجه المباركة الخيرة.

٤. البر في الحج.

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، وله عند الله تعالى من القدر والجلال ما له؛ وذلك لأهميته في تقوية الإيمان، وتهذيب الأخلاق، وتكفير الذنوب والخطايا، وهذا الذي أهل هذه العبادة العظيمة لأن تكون من أهم وأعظم أوجه البر التي يتقرب بها المؤمن من ربه جل وعلا.

وتأصيلًا لذلك يقول الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام ٨/١، رقم ٦.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة، وأعمال البر ٧١١/٢، رقم ١٠٢٧.

وبما أن ما ذكر في الحديثين الشريفين من الوعد بالمغفرة والتعظيم هو الغاية الأسمى التي يسعى عباد الله تعالى الأبرار للوصول إليها من خلال محافظتهم على أعمال البر التي شرعها الله تعالى لهم.

ثالثاً: البر في الأخلاق:

يتميز الدين الإسلامي باهتمامه بالتحلي بالأخلاق الحميدة؛ وذلك لما لها من عظيم الأثر على الفرد في ضبط سلوكه وتقويمها، وعلى المجتمع في رقيه وزيادة تماسك أفرادها، وقد مدح الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بسمو أخلاقه.

فقال تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَآتَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

كما نبه النبي صلى الله عليه وسلم على أهمية التحلي بالأخلاق الحسنة بقوله: (إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً) (٥).

كما فسر صلى الله عليه وسلم البر بأنه هو حسن الخلق بقوله: (البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس) (٦).

٨١٠.

قال: حسن صحيح غريب.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسقاء، وما يكره من البخل ١٣/٨، رقم ٦٠٣٥.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلوة والآداب، باب تفسير البر والإثم ٤/١٩٨٠، رقم ٢٥٥٣.

وَلَا تُسْوَكَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَكَزَّوْذُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَأْتُولِي الْأَلْبَبُ [البقرة: ١٩٧].

فقول الله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ بعد نهيهِ عن فعل الشر لحث العباد على اغتنام الحج للاستزادة من الخير بفعل الخيرات، واجتناب المعاصي (١). ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من حج لله فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه) (٢).

وقوله صلى الله عليه وسلم: (رجع كيوم ولدته أمه) يعني أن الحاج الذي خلا حجه من الرفث والفسق يعود من حجه وقد حط الله تعالى عنه سائر ذنوبه وخطاياها (٣).

ويعد الحج من الأعمال التي حث النبي صلى الله عليه وسلم على تكرارها بقوله: (تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد، والذهب، والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة) (٤).

(١) انظر: لباب التأويل، الخازن ١/ ١٣٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور ١٣٣/٢، رقم ١٥٢١.

(٣) انظر: الإفصاح عن معاني الإصحاح، ابن هبيرة ٦/ ٤١٠.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الحج، باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة ٣/ ١٦٦، رقم

ومن الأخلاق الرئيسية التي لا بد للبر أن يتوجها ما يأتي:

١. الوفاء بالعهد.

الوفاء بالعهد من الأخلاق التي أمر الله تعالى بها، قال تعالى: ﴿بَيَّأْتُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

والعقود هي أوثق العهود^(١) كما جعل الله تعالى هذه صفة من الصفات التي يتحلى بها المؤمنون السائرون على طريق الصلاح والفلاح، فقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَلِزْنَتِهِمْ غَيْرَ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ٨﴾ [المؤمنون: ١-٨].

[٨ - ١]

كما عد الله تعالى الاتصاف بالوفاء بالعهود من الأخلاقيات الملازمة للأبرار، فقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ وَالسَّامِعِينَ فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ

(١) انظر: الوجيز، الواحد ص ٣٠٦.

بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالْفُسْطَاءِ وَبَيْنَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقد رفع الله تعالى من قدر خلق الوفاء بالعهد لما له من أهمية بالغة في إعلاء شأن المؤمنين، وإعطاء الصورة المشرقة عن الإسلام، ولكي يعد الوفاء بالعهد من أوجه البر الأمور الآتية:

١. الوفاء بالعهود مع الله تعالى.

والتي في مقدمتها الإيمان بوحداية الله تعالى في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وقد أخذ الله تعالى على بني آدم العهد والميثاق على ذلك، وهذا ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

ويقود هذا العهد العباد إلى الإيمان بوحداية الله تعالى في ألوهيته وأسمائه وصفاته، وبيان ذلك أن الآية ذكرت إقرار بني آدم عليه السلام جميعاً برؤية الله تعالى، وتوحيد الربوبية لله تعالى أساس لتوحيد الألوهية؛ لأن توحيد الربوبية يشمل الاعتقاد بأن الله تعالى هو الذي خلق ورزق وأنعم، وهذا الفضل والإنعام يستوجب الطاعة والانقياد ممن انتفع وتنعم، وبعبارة أخرى فإن الرب جل وعلا الذي خلق العباد

٢. الصبر.

خلق الصبر من أجمل ما يتصف به العبد المؤمن، وسر جمال هذا الخلق الرفيع يكمن في أمرين، الأول: أن الله تعالى حث عليه وأعد الأجر العظيم لمن اتصف به، والثاني: أن الصبر من أبرز ما اتصف به الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، أما بالنسبة لحث الله تعالى.

فقد قرر سبحانه معيته وتأييده للصابرين، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وأما بالنسبة لعظم أجر الصابرين قال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وأما بالنسبة لاتصاف الأنبياء بهذه الصفة الخلقية الرفيعة قال تعالى على لسان رسله عليهم السلام: ﴿وَمَا لَنَا إِلَّا اللَّهُ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا ءَاذَيْتُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢].

وهذا القول من الرسل لأقوامهم يثبت صبرهم على ما جوبهوا به من قبل أقوامهم ردًا على دعوتهم لهم^(١)، وحتى يكون الصبر من أعمال البر التي تقرب العبد من ربه جل

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٥٣٩/١٦.

ورزقهم وتكفل بجميع شؤونهم ليستحق منهم حسن الطاعة والانقياد وهذا هو جوهر توحيد الألوهية، كما من المعلوم أنه لا يليق لمن اتصف بالألوهية والربوبية إلا أن تكون أسماؤه حسنى، وصفاته صفات كمال، وبهذا يكون الإيمان بالله تعالى مكتمل الأركان، وبالتالي يعتبر من أعمال البر التي تقرب العباد من ربهم جل وعلا.

٢. الوفاء بالعهود التي تكون بين المؤمنين والمؤمنين.

وتشمل هذه العهود كافة أنواع التعاملات المشروعة التي يجريها المؤمنون مع بعضهم البعض.

٣. الوفاء بالعهود المشروعة التي تكون بين المؤمنين وغير المؤمنين.

والضابط لهذه العقود أن يلتزم بها الكفار، قال تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتَضَا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧].

ويلاحظ من الآية مجيء فاصلتها «إن الله يحب المتقين» جملة تعليلية عللت ما قبلها من تشريع، فتبين بذلك أن الاستقامة على العهود مع الملتزمين بها من غير المسلمين من التقوى التي يحب الله تعالى من اتصف بها.

وعلا لا بد من الاتصاف بأنواعه الثلاثة وهي:

١. الصبر على طاعة الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا أَمَّاكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَنَقِبَةُ لِلنَّفَقَى﴾ [طه: ١٣٢].

والمعنى واصبر على أدائها على أتم وجه، والمداومة على إقامتها في مواعيدها، والدعوة إليها^(١)، وينطبق على سائر الطاعات ما ينطبق على الصلاة.

٢. الصبر عن المعصية.

ومعلوم أن النفس الأمارة بالسوء والشيطان لا يكفان عن الدعوة لاقتراف ما نهى الله تعالى عنه.

وهذا يتطلب من العبد مجاهدة كبيرة لعدم الانجرار إلى تلك الدعوة، وفي هذا المضمار يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: (حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات)^(٢).

وهذا الحديث يثب الأمل في نفس المؤمن فهو يعلم أن صبره على عدم الانجرار خلف الأهواء والشهوات لن يضيع هباءً منثوراً، وإنما سيجزيه الله تعالى الجزاء الأوفى على صبره يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

٣. الصبر على المحن والمصائب.

(١) انظر: النكت والعيون، الماوردي ٣/ ٤٣٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٤/ ٢١٧٤، رقم ٢٨٢٢.

وفي هذا المقام يقول الله تعالى: ﴿وَلَتَبْلُؤَنَّهُمْ يَبْنَءٌ مِّنَ الْقَوَى وَالْجُوعِ وَنَقْصٌ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

وبشارة الله تعالى للمؤمنين الصابرين تتضمن حسن الثواب في الآخرة.

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي، فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده، فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسموه بيت الحمد)^(٣).

٣. إتيان البيوت من أبوابها.

تعود قصة الأمر بإتيان البيوت من أبوابها إلى ما كان يقوم به الأنصار إذا أحرموا من الامتناع عن دخول البيوت من أبوابها، وإذا لزمهم دخول البيوت فإنهم يعمدون إلى ثقب في ظهر البيت فيدخلون من خلاله، ويعدون ذلك من البر.

فنبههم الله تعالى إلى أن ذلك ليس من

(٣) أخرجه الترمذي، أبواب الجنائز، باب فضل المصيبة إذا احتسب ٢/ ٣٣٢، رقم ١٠٢١، قال عنه الترمذي: حديث حسن غريب.

الأول: الإخلاص لله تعالى^(٣).

وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥].

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه)^(٤).

والشرط الثاني: موافقة العمل لما جاء به الشرع.

وفي ذلك يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رد)^(٥).

٤. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

جعل الله تعالى قيام الأمة بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أبرز أسباب خيرتها وأفضليتها على من سواها من الأمم، فقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ

البر، والبر هو أن يأتوا البيوت من أبوابها سواء أكانوا محلين أو محرمين.

وذلك في قوله تعالى: ﴿سَتَلُونَا عَنْ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَيِّجُ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩].

وقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: (نزلت هذه الآية فينا، كانت الأنصار إذا حجوا فجاءوا، لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم، ولكن من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار، فدخل من قبل بابه، فكأنه غير بذلك، فنزلت: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾)^(١).

ويفهم من سبب النزول أن البر في تقوى الله تعالى، وطاعته فيما أمر ونهى لا في العدول عن تشريعاته^(٢).

وقد وضع الإسلام لقبول العمل الذي يبتغى فيه وجه الله تعالى الكريم شرطين أساسيين:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب العمرة، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾، رقم ١٨٠٣، ٨/٣.

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٢٠٣/١.

(٣) انظر: محاسن التأويل، القاسمي ٢٢٨/٦.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله ٢٢٨٩/٤، رقم ٢٩٨٥.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب إذا اصطالحوا على صلح جور فالصلح مردود ١٨٤/٣، رقم ٢٦٩٧.

عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ
أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ
الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ [آل
عمران: ١١٠].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
مهمة الأنبياء، وقد حذر النبي صلى الله عليه
وسلم من التقاعس عن أداء هذه المهمة
العظيمة فقال (والذي نفسي بيده لتأمرن
بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن
الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا
يستجاب لكم) (١).

وحتى يكون الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر من أعظم القربات إلى الله تعالى
لابد أن تراعى فيه الأمور الآتية:

١. مراعاة أحوال المدعوين أثناء أمرهم
بالمعروف ونهيهم عن المنكر.
وقد علم الله تعالى عباد المؤمنين كيف
يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،
يظهر ذلك في عدة مواضع من كتاب الله
تعالى منها:

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَنَّا قُلْتُمْ مَالِ الْأَرْضِ أَرْضِينَا بِالحَيَوةِ الدُّنْيَا
مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فِي

(١) أخرجه الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء
في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٣٨/٤، رقم ٢١٦٩.
وقال: حديث حسن.

الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

وتبرز هذه الآية الكريمة أن الله تعالى قد
راعى أحوال المؤمنين عندما أمرهم بالجهاد
في سبيله، فالناس يميلون الراحة وعدم
الخروج لملاقاة العدو، خصوصاً إذا كانت
أوضاع الناس المعيشية في حالة من الرغد
والسعة.

وقد نزلت هذه الآية في الحر الشديد
حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يجهز لغزو الروم، فأراد الله تعالى أن يشحذ
همم المؤمنين للجهاد في سبيله من خلال
بيان أن النعيم الدنيوي الذي يشبههم عن
الخروج للجهاد في سبيل الله تعالى قليل
بالنسبة لنعيم الآخرة (٢).

وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا
أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ
كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ
لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢].

تنهى الآية الكريمة المؤمنين عن رفع
الأصوات فوق صوت النبي صلى الله عليه
وسلم، وعن الجهر له بالقول كما يجهر
الواحد من المؤمنين لغيره من الناس.

ويعبر هذا النهي من الله تعالى لعباده
المؤمنين عن مدى المراعاة لأحوالهم فهم
على مقربة شديدة من رسول الله صلى الله
عليه وسلم، وهذا التقارب إضافة إلى تواضع

(٢) انظر: لباب التأويل، المخازن ٢/ ٣٦٠.

تعالى عليهم ليزجروه، فينهاهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (لا تزموه دعوه فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا فقال له: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر إنما هي لذكر الله عز وجل، والصلاة وقراءة القرآن) (٢).

وربما لو لم يتدخل الرسول صلى الله عليه وسلم حينها ليمنع الناس من زجره، لترك الإسلام أو لوقع في نفسه البغض للمسلمين، وهذا مالا يرضي ربنا جل وعلا.

٣. الشجاعة والجرأة في قول الحق.

وقد ذكر القرآن الكريم قصصاً لدعاة أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر بكل جرأة وشجاعة فبذلوا في سبيل ذلك الغالي والنفيس، ومن هذه القصص، قصة الرجل المؤمن الذي دعا قومه لاتباع الرسل فقتلوه.

قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفَوْرُ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۝١٠ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ۝١١ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝١٢ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرْدِنَ الرَّحْمَنُ بَصِيرَةَ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا وَلَا يَقْدِرُونَ

يَسْعَى قَالَ يَنْفَوْرُ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۝١٠ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ۝١١ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝١٢ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرْدِنَ الرَّحْمَنُ بَصِيرَةَ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا وَلَا يَقْدِرُونَ

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، وأن الأرض تطهر بالماء، من غير حاجة إلى حفرها ١/٢٣٦، رقم ٢٨٥.

النبي صلى الله عليه وسلم في معاملته لهم، وطبيعة تعامل المؤمنين مع غيرهم من الناس أثناء محادثتهم قد يؤدي إلى اعتقاد المؤمنين بجواز رفع الصوت فوق مستوى صوته صلى الله عليه وسلم أثناء محادثته، أو الجهر إليه بالقول كما يجهر لغيره من عامة الناس، فجاء التنبيه الإلهي ليحول دون وقوع ذلك الأمر الذي يتسبب في إحباط أعمال المؤمنين الصالحة. (١)

٢. الحلم والتلطف مع المدعوين خلال أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

وقد أثنى الله تعالى على رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم لاتصافه باللين في تعامله مع الناس.

فقال تعالى: ﴿فَمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْ بِهِمْ لَبِثَ أَجَلٌ طَوِيلٌ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَقْبَضَوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ۝١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وبالتالي فلا يكفي الداعية أن يكون حاملاً للحق، وإنما يجب عليه أن يمتلك الوسيلة الحسنة ليقنع الناس بإتيان الحق، وترك الباطل، ومما يمثل لبراعة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في هذا الميدان، موقفه من الرجل الذي بال في المسجد فاجتمع إليه الصحابة الكرام رضوان الله

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٢/٢٧٧.

﴿إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢٤) **إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ** (٢٥) **قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتُ قَوْمِي يَعْلَمُونَ** (٢٦) **بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ** (٢٧) [يس: ٢٠ - ٢٧].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْأَيْدِي وَالْعُذُونِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِاللِّبِّ وَالنَّفْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المجادلة: ٩].

يتضح من الآيات الكريمة أن الرجل المؤمن قد تحلى بشجاعة وإقدام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأمر قومه باتباع الرسل عليهم السلام، وأظهر لهم إيمانه فقتلوه بسبب ذلك، فادخله الله تعالى الجنة. (١)

وبناءً على ما جاء في هذه الآية من النهي عن التناجي بالإثم والعدوان، فإن المؤمن لا ينزعج إذا رأى إخوة له يتناجون دون إشراكه في سماع ما يدور بينهم من حديث؛ لعلمه بأن ما يتناجون به خير ليس فيه شيء مما نهى الله تعالى عنه.

ويستفاد من تلك القصة أنه على الداعية الذي يقوم بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون شجاعاً جريئاً لا يخاف في الله لومة لائم، فيقول الحق مهما كان الثمن لقوله.

٢. إذا كانت الجماعة مكونة من ثلاثة أشخاص فلا يتناجى اثنان دون الثالث. قال صلى الله عليه وسلم: (إذا كنتم ثلاثة، فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس، أجل أن يحزنه). (٢)

٥. التناجي بالبر والتقوى.

٦. التعاون على البر والتقوى.

يعمد الناس إلى التناجي في حال أرادوا التحدث بكلام لبعض الأشخاص دون غيرهم في جماعة واحدة، ونظراً للأثر السلبي الذي تخلفه النجوى على المستثنين من سماع الكلام الذي يدور من خلال النجوى فقد وضعت الشريعة الإسلامية ضوابط وآداب تضمن لمن التزمها في نجواه تجنب التأثير السلبي للنجوى، وتشتمل هذه الضوابط والآداب بما يأتي:

من حكمة الله تعالى أن جعل الإسلام دين جماعة، يظهر ذلك جلياً في النصوص الشرعية الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة، والتي يتوجه فيها الخطاب للجماعة كالأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وغيرها، وتعزيزاً لذلك أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالتعاون على البر والتقوى، فقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا

١. عدم التناجي إلا بالبر والتقوى.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة والمناجاة ٨/٦٥، رقم ٦٢٩٠.

(١) انظر: الوجيز، الواحدي ص ٨٩٩.

على رفعة منزلة الصدق في أخلاق المؤمنين
الأتقياء.

وفي هذا الشأن يقول المصطفى صلى
الله عليه وسلم: (إن الصدق يهدي إلى البر،
وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق
حتى يكتب صدقاً، وإن الكذب يهدي إلى
الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن
الرجل ليكذب حتى يكتب كذاباً)^(١).

والعبد إذا كتب عند الله تعالى من
الصديقين لملازمته الصدق في القول
والفعل والمعتقد، فإنه يكتب عند الله تعالى
مع الذين أنعم عليهم.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ
فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ
أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ ﴿[المائدة: ٢].

ويشمل التعاون على البر والتقوى جميع
مجالات التعاون في ما أباح الله تعالى إتيانه
والتعاون في تأديته كالبناء، وصناعة الأشياء
المباحة، وعمل الشركات، وتصنيف الكتب
النافعة ونشرها، وغير ذلك.
٧. الصدق.

أثنى الله تعالى على عباده الملازمين
للبر في عقائدهم وعباداتهم وأخلاقهم بأنهم
صادقون.

فقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ
فِيكَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ
وَعَاقَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى
وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ فِي الرِّقَابِ
وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ
بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ
وَالْفُرْءَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

كما أن خلق الصدق من الأخلاق
الحميدة التي دعا إليها الله تعالى في
كتابه العزيز، وذلك كما في قوله تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ
الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وأمر الله تعالى المؤمنين بتقواه ولزوم
الصدق في النية والقول والعمل فيه دلالة

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة
والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق
وفضله ٤/٢٠١٢، رقم ٢٦٠٧.

البر والصلات الاجتماعية

أنعم الله تعالى على البشرية بأن خلق آدم وخلق منه زوجه حواء؛ ليسكن إليها، ويأنس بها، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

كما أنعم الله تعالى على الناس بأن جعلهم يتناسلون ويتكاثرون، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةٍ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [النحل: ٧٢].

ومن المعلوم أن الله تعالى قد خلق الإنسان ليؤدي مهمة الخلافة في الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

ولأداء هذه المهمة العظيمة لا بد للفرد من أن يعمل ضمن الجماعة، ولإيجاد الجماعة لا بد من ترابط الأفراد.

وقد ربط الله تعالى بين الأفراد بأمرين أساسيين:

الأول: العبادات.

والثاني: المعاملات.

ومما تتضمنه المعاملات الإسلامية الصلات الاجتماعية التي تقوي الروابط بين مكونات المجتمع، كما لم يغفل التشريع الإسلامي الروابط والصلوات التي تربط

المجتمع المسلم بغيره من المجتمعات، فشرع أنواع من التعاملات التي تربط المجتمع المسلم بالمجتمعات الأخرى.

وقد جعل الله تعالى البر هو العنوان الرئيس لكافة العلاقات والروابط، سواء أكانت بين الأفراد في المجتمع المسلم، أو كانت بين المجتمع المسلم وغيره من المجتمعات الأخرى، وبيان ذلك فيما يأتي:

أولاً: البر وصلة الرحم:

من فضل الله تعالى على عباده أنه أوجد لهم وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، ومن أعظم هذه النعم الوالدين والأقارب.

وتكمن عظمة هذه النعمة في أن كلاً من الوالدين والأقربين يمثلون الحاضنة التي توفر للإنسان ما يحتاجه من الرعاية التي لا غنى له عنها في أي مرحلة من مراحل حياته. وبالتالي فينبغي على الإنسان أن يشكر الله تعالى الذي من عليه بهذه النعمة العظيمة، وذلك من خلال أمرين:

الأول: بر الوالدين والإحسان إليهما.

الثاني: الإحسان إلى الأقارب.

أما الأمر الأول وهو بر الوالدين والإحسان إليهما، فقد قال الله تعالى فيه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ

الله إنهم الأعراب ويرضون باليسير، فيرد عليه ابن عمر رضي الله عنهما قائلًا: إن هذا كان وذا لعمر بن الخطاب، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه)^(١).

ويقول الإمام القشيري: «أمر - أي الله تعالى - بالإحسان إلى الوالدين ومراعاة حقهما، والوقوف عند إشارتهما، والقيام بخدمتهما، وملازمة ما كان يعود إلى رضاهما، وحسن عشرتهما، ورعاية حرمتهم، وألا يبدى شواهد الكسل عند أوامرهما، وأن يبذل المكنة فيما يعود إلى حفظ قلوبهما... هذا في حال حياتهما، فأما بعد وفاتهما فبصدق الدعاء لهما، وأداء الصدقة عنهما، وحفظ وصيتهما على الوجه الذي فعلاه، والإحسان إلى من كان من أهل دهما ومعارفهما»^(٢).

وبالتالي فإن بر الوالدين يعد من أعظم أبواب البر والخير التي يجب على الأبناء أن يتزاحموا ويتسابقوا لولوج الجنة من خلالها.

وأما الأمر الثاني الذي يشكر العبد ربه من خلاله على نعمة الرعاية فهو الإحسان إلى الأقارب.

كَلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لِمَا آتَى وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٤].

والملاحظ من الآيتين الكريمتين أن الله تعالى قد شدد على ضرورة الإحسان إلى الوالدين في جميع أحوالهما وبالذات حين يضعفهما الكبر في السن.

وهذا يتطلب من الابن أن يشعر بأنه مدانٌ لوالديه بالكثير؛ فهما اللذان اعتنيا به حين كان صغيرًا لا يقوى على القيام بشيء من احتياجاته، هذا فضلًا عن أنهما كانا السبب في وجوده.

ومن الملاحظ أيضًا في الآية الأولى أن الله تعالى قد أمر بالإحسان إلى الوالدين بعد الأمر بإفراده بالعبادة، وهذا يدل على مدى أهمية الإحسان إلى الوالدين.

كما يلاحظ في الآية الثانية أن الإحسان إلى الوالدين لا يقتصر على فترة وجودهما في الحياة، وإنما يبقى مستمرًا إلى ما بعد وفاتهما.

وهذا ما فهمه الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، فهذا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يلقي أعرابيًا فيسلم عليه، وينزل عن حماره ليحمل عليه الأعرابي، ويهديه عمامته، فيقول له حينها عبد الله بن دينار رحمه الله تعالى: أصلحك

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة أصدقاء الأب والأم، ونحوهما ٤/١٩٧٩، رقم ٢٥٥٢.

(٢) لطائف الإشارات، القشيري ٢/٣٤٤ - ٣٤٣.

وفيه يقول الله تعالى: ﴿وَأَتِذَا الْقُرُوفِ حَقَّهُ﴾ [الإسراء: ٢٦].

وتشمل حقوق ذوي القربى زيارتهم، وحسن التعامل معهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وتقديم العون لهم، والإنفاق عليهم حال فقرهم، وغير ذلك من أوجه برهم.

وقد جعلهم الله تعالى في الدرجة الثانية بعد الوالدين نظرًا لكون الوالدين أعظم فضلًا على العبد من باقي أقاربه.

ثانيًا: البر بالمسلمين:

أكرم الله تعالى عباد المؤمنين برباط الأخوة الإيمانية المتين الذي ألف به بين القلوب المتنافرة.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنُصْرِهِ وَإِلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٢ ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢ - ٦٣].

وقال رسول الله: صلى الله عليه وسلم (إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وشبك أصابعه) (١).

وتتطلب هذه النصوص الشرعية من المسلمين حسن رعاية بعضهم لبعض،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره ١٠٣/١، رقم ٤٨١.

وممن خصهم الله تعالى بالذكر للحث على رعايتهم الأصناف الآتية:

١. اليتامى.

قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْإِلَهَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٧].

واليتيم هو من فقد أباه وهو صغير (٢)، وقد خصه الله تعالى بالذكر وجعل النفقة عليه من أوجه البر؛ نظرًا لأنه قد فقد من يعيله ويتولى النفقة عليه بالعادة، وتركه للفقر أمر فيه مفسدة عظيمة.

٢. الفقراء.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ [التوبة: ٦٠].

والفقير هو من لا مال له (٣)، وبالتالي فهو في أمس الحاجة إلى يعينه على لوازم الحياة.

٣. المساكين.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠].

والمسكين هو من لا يملك ما يكفيه ومن يعيله من المال (٤).

(٢) انظر: لباب التأويل، الخازن ١٠٦/١.
(٣) انظر: النكت والعيون، الماوردي ٣١٦/٤.
(٤) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي ٤٨/٣.

الحقوق التي تكون للجار على جاره، فمثلاً إن كان الجار مسلماً ومن ذوي الأرحام كانت له حقوق الإسلام والجيرة والقرابة، وإن لم يكن من الأقارب كانت له حقوق الإسلام والجوار، وإن لم يكن مسلماً كانت له حقوق الجوار فقط^(٢).

وقد أكد المصطفى صلى الله عليه وسلم على ضرورة الإحسان إلى الجار في أحاديث متعددة، منها:

قوله صلى الله عليه وسلم (ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه)^(٣).

وقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها عندما سألته عن المقدم بالهدية من الجيران قائلة: إن لي جارين فألى أيهما أهدي؟ قال: (إلى أقربهما منك باباً)^(٤).

وهذا يدل على أن الجار الأقرب هو الأولى بالهدية من الأبعد؛ لأنه ينظر إلى يدخله الجار إلى بيته من المتاع بخلاف الأبعد^(٥).

(٢) انظر: تفسير القرآن، أبو المظفر السمعاني ٤٢٦/١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار ٨/١٠، رقم ٦٠١٥.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب بمن يبدأ بالهدية ٣/١٥٩، رقم ٢٥٩٥.

(٥) انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني ٩/٢٦.

وقد جعل الله تعالى هذا الصنف من مصارف الزكاة؛ حتى يتمكن من الحصول على ما يسد به حاجته، ويكفيه ذل المسألة. ٤. السائلين.

قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْآلِ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

والسائل هو الذي يطلب العون والمساعدة من الآخرين^(١).

وقد خصهم الله تعالى بالذكر والحث على مساعدتهم؛ لأن سؤالهم ناجم عن فقرهم، وعدم قدرتهم على الكسب، وفي معونتهم سد لحاجاتهم.

٥. الجار.

قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦].

وتوصي الآية الكريمة بالإحسان إلى الجيران عموماً سواء أكانوا أقارب وأرحام، أو كانوا أجنب، وسواء أكانوا ملاصقين في سكنهم أو بعدت أماكن سكنهم، وقد أمر الله تعالى بالإحسان إلى الجار نظراً لتعدد

(١) انظر: معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، حسن الجمل ٢/٢٧٦.

٦. ابن السبيل.

قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْإِنْرَ مَنَ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وابن السبيل هو المنقطع عن أهله وماله في سفر^(١)، وقد جعل الله تعالى إعانة ابن السبيل أحد أوجه البر لما في الانفاق عليه بغية إيصاله إلى بلده وماله من التيسير على المعسر الذي انقطع عن ماله في غير بلده.

٧. في الرقاب.

قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْإِنْرَ مَنَ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

والمراد بمن في الرقاب هم العبيد^(٢).

وقد حث الله تعالى على فكاكهم في غير موضع من القرآن الكريم؛ لما في فكاكهم وتخليصهم من الرق والعبودية من الحفاظ لكرامتهم، والإعلاء لشأنهم.

ثالثاً: البر مع الأعداء:

لم يقتصر فضل البر على المسلمين فحسب، وإنما تعدى الأمر المسلمين ليصل

(١) انظر: فتح البيان، القنوجي ١٨٢/٥.

(٢) انظر: معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، حسن الجمل ٣/ ٢٧٤.

إلى غيرهم من غير المسلمين، وما ذلك إلا تعبيراً عن سماحة الإسلام وأهله.

وفي هذا الشأن يقول الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٨) إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ قَاتَلُوكُمْ وَمَنْ يُؤْلَمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨ - ٩].

وتبين الآية الكريمة أن البر إلى غير المسلمين جائز شريطة أن يكونوا مسالمين وأن يلتزموا بعهودهم ومواثيقهم التي أبرموها مع المسلمين.

قال تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧].

أما المحاربين فلا تجوز مودتهم؛ لأنهم ناصبوا المسلمين العداء، وبذلوا كل جهد للقضاء على الإسلام والمسلمين، فهؤلاء ليس لهم عند المسلمين إلا القتال حتى يغلبوا وينتهي شرهم، ولا يعني ذلك جواز تجاوز الحد المأذون به شرعاً في معاقبة الأعداء، أو معاقبة غير المعتدين^(٣)؛ فإن العدل مع الأعداء من البر الذي دعا إليه

(٣) انظر: التفسير البسيط، الواحدي ٧/ ٢٩١.

آثار البر في الدنيا والآخرة

مما لا شك فيه أن للبر آثار جليلة تعود بالنفع على الأبرار في الدنيا والآخرة، كيف لا يكون ذلك والله تعالى هو الذي أمر بالبر وحث عليه المؤمنين، ولمعرفة تلك الآثار لابد للنظر في نصوص القرآن الكريم، وبيان ذلك فيما يأتي:

أولاً: آثار البر في الدنيا:

١. محبة الله تعالى.

وقد أكد الله تعالى محبته للقائمين بأعمال البر التي حثت الشريعة الإسلامية في غير موضع من كتاب الله تعالى.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

والآية الكريمة تبين أن الإنفاق في سبيل الله تعالى في السراء والضراء، وكظم الغيظ، والعفو عن الآخرين، والإحسان في الأمور كلها تستدعي محبة الله تعالى، ومما لا شك فيه أن الأمور التي ذكرتها الآية الكريمة من أعمال البر.

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَكَانَ مِنْ نَجْوَىٰ قَتَلِ مَعَهُ يَرْيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ

الإسلام.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قُوْرٍ عَلَآ ءَلَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

والبر إلى المسالمين من غير المسلمين يكون في التعامل معهم في مختلف المجالات بالرفق واللين، وعدم هضم حقوقهم أو الانتقاص من شأنهم، وذلك يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: (ألا من ظلم معاهداً، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة) (١).

ولا يشمل البر إلى المسالمين من غير المسلمين موالاتهم في معتقداتهم الفاسدة، فالغرض من برهم هو دعوتهم إلى الهدى والإيمان وليس التأثير بمعتقداتهم الباطلة.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُوتُ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ تَعْبُدُونَ ۝٣ وَلَا أَنْتُمْ عِبَادُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٤ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝٥ وَلَا أَنْتُمْ عِبَادُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٦ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٧﴾ [الكافرون: ١ - ٦].

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات ٣/ ١٧٠، رقم ٣٠٥٢. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ٥١٨/١.

يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ [آل عمران: ١٤٦].

والآية الكريمة تحث على الصبر والتحمل في سبيل إعلاء شأن الإسلام، وعدم الفتور والضعف والاستكانة مهما أصابهم من قتل وجراح وغير ذلك في سبيل الله تعالى (١).

ومعلوم أن الصبر من أعظم الأخلاقيات التي حث عليها الإسلام.

٢. الطمأنينة وانسراح الصدر.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ هَلَمْ دَارُ السَّلَاسِلِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥ - ١٢٧].

يبين الله تعالى في هذه الآيات الكريمة أن الذي يهديه الله تعالى للإسلام يشرح صدره بأن يقذف في قلبه نورًا يميز من خلاله الحق فيقتنع به ويهتدي إليه، وتطمئن نفسه إلى المسلك الذي يسير فيه (٢).

قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة:

٢٥٧].

والمقصود بالظلمات في الآية الكريمة هو ظلمات الكفر، والنور هو نور الإيمان (٣). وهذا النور الذي يجده المؤمن في حياته هو سبب الراحة النفسية التي يعيشها، كما أن الطمأننة الإلهية للمؤمنين الأبرار هي مفتاح السعادة بالنسبة لهم.

وقد جاءت هذه الطمأننة في الحديث القدسي الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته) (٤).

يبين هذا الحديث الشريف أن الاجتهاد في أعمال البر أمر يوجب محبة الله تعالى، كما أن الله تعالى يكرم الأبرار بلذة وراحة أثناء قيامهم بأعمال البر.

وفي ذلك يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة

(٣) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الغرناطي ١/ ١٣٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع ٨/ ١٠٥، رقم ٦٥٠٢.

(١) انظر: النكت والعيون، الماوردي ١/ ٤٢٧.

(٢) انظر: البحر المديد، ابن عجيبة ٢/ ١٦٨.

تعالى في موضع آخر: ﴿قَالَ آمِطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣].

وتبين هذه الآية الكريمة أن اتباع الهدى شرط لعدم الضلال والشقاء.

ثانيًا: آثار البر في الآخرة:

وضع الله تعالى شرطًا للنجاة من عذابه الأليم في الآخرة، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وتوضح الآية الكريمة أن الشرط هو المداومة على العمل الصالح، وعدم الاشراك بالله تعالى مطلقًا، وقد أكد الله تعالى في غير موضع من القرآن الكريم على حسن مآل الأبرار المحسنين، كما حدد آثار البر والعمل الصالح على الأبرار في الآخرة، والتي منها ما يأتي:

١. الأمان من الخوف والحزن.

قال تعالى: ﴿الْآيَاتِ أُولَئِكَ اللَّهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

تبين الآيات الكريمة أن أولياء الله تعالى من المؤمنين الأبرار لا خوف عليهم مما سيكون يوم القيامة من أهوال مخيفة، ولا

الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار^(١).

ولا يقتصر انشراح صدر المؤمن البار واطمئنانه خلال فترة حياته فحسب، بل إن الملائكة الكرام تنزل عليه عند قبض روحه لطمأنته وتبشيره^(٢).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

٣. الحياة الطيبة.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

والملاحظ أن الآية الكريمة عبارة عن جملة شرطية، ومعلوم أن أسلوب الشرط يعتمد إلى الربط بين أمرين فلا يتحقق الأمر الثاني إلا إذا تحقق الأمر الأول، وبالتالي فإن تحقق حصول الحياة الطيبة للعبد في الدنيا أمر مرهون باستقرار الإيمان في قلبه، ومداومته على العمل الصالح، ويقول الله

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان ١/١٢، رقم ١٦.

(٢) انظر: لباب التأويل، الخازن ٢/٤٥٢.

هم يحزنون على ما أسلفوا، لأنهم لم يقدموا إلا صالحاً^(١).

يقول شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى ذكره: ألا إن أنصار الله لا خوف عليهم في الآخرة من عقاب الله، لأن الله رضي عنهم فآمنهم من عقابه، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا»^(٢).

٢. النجاة من النار والفوز بالجنة ونعيمها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۖ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ۚ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۚ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْحُومٍ ۖ خَتَمَ لَهُمْ مَسْكِ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ۚ وَمِنَ الْجَاهِ مِنْ تَسْنِيمٍ ۖ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ۚ﴾ [المطففين: ٢٢ - ٢٨].

تبين الآيات الكريمة حسن ما أعدّه الله تعالى لعباده الأبرار من النعيم والثواب في جنانه التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وقد قال الله تعالى عما في هذه الجنان: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَائِدَ عُثُونٍ﴾ [يس: ٥٧].

وقال تعالى أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ

أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۚ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ۚ﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣١].

فهذه الآيات تحتوي على البشارات الواضحة بدخول المؤمنين الصالحين الأبرار جنان ربهم جل وعلا، وحصولهم فيها على ما يشاؤون من النعم والمتع، كما جاءت آيات أخرى تبين الطريقة التي من خلالها ادخال المؤمنين إلى جنان ربهم جل وعلا، منها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥].

وتعني كلمة وفد أي: ركباً^(٣). وهذا مما يدل على تكريم الله تعالى لهم لما قدموه من العمل الصالح في الدنيا.

ومن الآيات أيضاً التي تبين حسن استقبال المؤمنين البررة عند دخولهم الجنة قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

وتبين الآية الكريمة أن خزنة الجنة من الملائكة يستقبلون الأبرار من المؤمنين الأتقياء أحسن الاستقبال عند دخولهم الجنة، وحين يرى المؤمنون حسن

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٣٦٨.

(٢) جامع البيان، الطبري ١١٨/١٥.

(٣) جامع البيان، الطبري ١١٨/١٥.

استقبالهم وما أعدده الله تعالى لهم من الأجر
الكبير يقولون: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْثَقَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنْ الْجَنَّةِ
حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤].

موضوعات ذات صلة:

الإحسان، التطوع، الخير، العطاء

